مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 4، ديسمبر 2023
ص: 453 - 462 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الفضاء الذهني وبناء المعنى في القصة القصيرة جدا

The Mental Space and the Construction of meaning in the Very Short Story

خديجة إكرام لبيدي[1] * / زغدودة ذياب[2]

Khadidja Ikram Lebidi[1] / Zeghdouda Diab[2]

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة الحاج لخضر، باتنة 1 (الجزائر)

University of Al-Hadj Lakhdar, Batna1 (Algeria)

khadidjaikram.lebidi@univ-batna.dz [1] zeghdouda.diab@univ-batna.dz [2]

تاريخ الإرسال: 2023/08/07	تاريخ القبول: 2023/09/27	تاريخ النشر: 2023/12/15

مُلخّص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في الخلفيات المعرفية التي تحكم الإنجاز اللغوي والتواصل التفاعلي، انطلاقا من مقاربة تسعى إلى الكشف عن كيفية بناء المعنى في القصة القصيرة جدا، وذلك ضمن خصوصيات الإدراك البشري، والحدود التي ترسمها الأنساق التصورية الفضائية باعتبارها مجالا ينفتح على العلاقة بين اللغة والذهن.

وقد توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الأفضية الذهنية ذات طبيعة تناسلية خاضعة لمبدأ التوليد الذي يخدم عملية الفهم أثناء التواصل، لكن يبقى عددها المنتج محدودا إذا ما قورن مع حجم اللغة التي تظل بالذهن.

الكلمات المفتاحية: فضاء ذهني، دلالة إدراكية، معنى.

Abstract :

This study aims to investigate the cognitive backgrounds that govern linguistic achievement and interactive communication, based on an approach that seeks to uncover how meaning is constructed in very short stories within the specificities of human perception and the boundaries drawn by spatial conceptual frameworks as a field that opens up the relationship between language and the mind. We have come to the conclusion that mental spaces have a reproductive nature subject to the principle of generation that serves the process of

* خديجة إكرام لبيدي: khadidjaikram.lebidi@univ-batna.dz

understanding during communication, but their number remains limited compared to the size of the language that remains in the mind.

Keywords: Mental Space; Cognitive Significance; Meaning.

مقدمة:

شغلت المسألة اللغوية أشكالا عدة في التفكير البشري، ومن بينها مسار التعبير عن النظام الذهني القائم بين ثنائية المبدع والمتلقي، بوصفه تفسيرا لما يحدث من تفاعل بين البنية السطحية والبنية العميقة لعملية التواصل اللغوي في ظل معطيات العالم الواقعي. وفقا لهذا، نحاول في هذه الدراسة الكشف عن الوجه الآخر للجانب الأدبي من القصة القصيرة جدا في إطار مفاهيم المقاربة اللسانية- الإدراكية التي نحاول من خلالها قراءة العمل الأدبي من زوايا جديدة أفرزتها العلائق البينية.

مشكلة الدراسة:

يمكن أن نصوغ إشكالية موضوعنا انطلاقا من التساؤل الآتي: إلى أي مدى تسهم نظرية الأفضية الذهنية في الكشف عن كيفية بناء المعنى في القصة القصيرة جدا؟

متبعين في ذلك المنهج الوصفي مع اعتماد آليات التحليل وذلك في التعريف ببعض المداخل والمفاهيم العلمية ذات الصلة بالموضوع.

2. مداخل مفاهيمية

نعالج في هذا المبحث بعض المداخل العلمية المتصلة بالمجال الإدراكي والتي من شأنها تبسيط كثير من المسائل المتعلقة بالفضاء الذهني وعملية التواصل اللساني.

1.2 اللسانيات الإدراكية:

قطعت اللسانيات الحديثة شوطا كبيرا من التطور خصوصا فيما تعلق بالمنظومة المفهومية العاملة على إيجاد النظام الكلامي بكل أسسه ومرتكزاته، وذلك بفضل التداخل بين العلوم المعرفية التي تبحث في شبكة العلاقات الرابطة بين قدرات الذهن البشري، وانطلاقا من ذلك ظهر اتجاه لساني حديث اصطلح عليه (باللسانيات الإدراكية)، غير أن هذا المصطلح عرف جدلا واسعا في التلقي العربي فمنهم من يعتمد مصطلح (العرفانية أو العرفنية أو المعرفية)، ومرد ذلك عدة أسباب، لعل أهمها إشكالية ترجمة مصطلح (cognitive) باعتباره المفهوم المحوري وأساس التسمية (cognitive linguistics)، ولكن على الرغم من فوضى الترجمة العربية إلا أن كثيرا من الباحثين في هذا المجال يتفقون على الغاية الإبستمولوجية التي يسعى إليها المفهوم حيث يعرفها الأزهر الزناد على أنها تيار "يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن والتجربة بما فيها الاجتماعي والمادي البيئي"[1]. أي أن مجال اهتمامها ينصب في دراسة اللغة في علاقتها مع الفكر، بتدخل جملة من

النشاطات التي تسعى إلى إنتاج المعرفة وربط اللغة بالتجارب الإنسانية التي يعكسها العالم الخارجي، أو بصورة أوضح هي توجه يهتم بالكشف "عن طبيعة البنية الذّهنيّة وأوجه انتظامها، وذلك من خلال تحليل الاستراتيجيّات العرفانيّة التي يعتمدها الإنسان في تفكيره ونمط تخزينه للمعلومات، وطريقة معالجته للّغة إنتاجًا وفهمًا[2]". فتكون بذلك ميدانا يبحث في مجالات مركبة يرصد فيها وظيفة العمليات الذهنية وأنماط الاستدلال في تواصلها وتقاطعها داخل النشاط اللساني.

2.2 الدلالة الإدراكية:

عرف السياق التاريخي للبحث الدلالي بشكل عام تحولات مهمة، خصوصا بعد المرحلة التوليدية حيث انخرطت بعدها الدلالة في مسار جديد فرضته اللسانيات الإدراكية التي تتبنى فكرة وجود نقاط متقاربة بين البنية الدلالية ومعرفة العالم، ولتقديم تصور أوضح نقف عند مفهوم الدلالة الإدراكية، حيث يشير هذا المصطلح إلى أحد مستويات اللسانيات الإدراكية التي تهتم "ببلورة نموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحفزها، وذلك انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه"[3]؛ أي أنها تهتم" بمسألة التحقيق في العلاقة المفترضة بين التجربة والنظام التصوري والبنية الدلالية المشفرة حسب اللغة"[4]. وعلى ضوء ذلك فأننا نخلص إلى أن الدلالة الإدراكية:

- تعنى بالعلاقات التي تصل التصورات التي تنقلها اللغة بالأنساق الإدراكية، لنتمكن من التعبير عن المعنى المقصود.

- ترى بأن عملية إنتاج المعنى لا تقتصر على البنى اللغوية فحسب بل تستند كذلك إلى الترسبات المعرفية والتجارب البشرية في العالم.

- تسعى للكشف عن الأنماط والآليات التي تربط بين القواعد المجردة والاستعمال ضمن مختلف المواقف، أي تعمل على ربط الدلالة بالنحو والتداولية.

3. الأفضية الذهنية

لكون الدلالة معطى مجرد فإن عملية تحقق الفهم لا تتم بطريقة مباشرة وفق ما قد يبدو لنا، أي أن لكل كلمة مادة لغوية تعبر عنها كما هو في التصور المعجمي الذي يمكننا من خلاله فهم قصد المتكلم، ولكنها أعقد من ذلك خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالتعبيرات المجازية التي تحمل فيها الألفاظ معان غير تلك التي وضعت لها، لذا نجد كثيرا من نظريات الدلالة الإدراكية تبحث عن طرائق جديدة لتحليل الدلالة الداخلية للكلمات وتفرعاتها ومن بينها نظرية الأفضية الذهنية.

1.3 مفهوم الفضاء الذهني:

طُرحت نظرية الأفضية الذهنية من طرف جيل فوكونيي(Fauconnier)، الذي بين من خلالها أن أدوات المنطق الصوري تخفق حين تواجه جميع الظواهر اللغوية، وأن ما نحتاجه حقيقة هو نظرية تقوم على قدرات الذهن الإنساني لا على قدرات الأنظمة الرياضية التي يستعملها المناطقة[5]. إذ يمكن لنا أن نفهم من

خلال هذا التصور أن الأنساق اللغوية في أساسها تمثل تجاربنا في العالم وتفاعلتنا مع محيطنا الخارجي على خلاف مسلمات المنطق الشكلي الذي يرتبط بكليات ذهنية مجردة ولا يتعامل مع العالم الواقعي بمحسوساته وتغيراته، ومن منطلق هذا الطرح فإن الأفضية الذهنية تمثل "زمر تصورية صغيرة تُبنى عندما نفكر أو نتكلم، بغرض الفهم... بواسطة أطر ونماذج ذهنية ينشئها الدماغ وتترابط فيما بينها ويمكن إدخال تعديلات عليها مع نمو التفكير والخطاب[6]". فيكون بذلك للذهن وظيفة مركزية دينامية في عملية رصد الاختلافات الدلالية بين البنيات اللغوية التي تتأثر بالخبرات والنشاط الذهني بشكل عام.

وعلى هذا النحو فإن الفضاء الذهني هو"جملة المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء ويتكون من عناصر وليس من الضروري أن تكون لتلك العناصر مراجع (في المعنى السوسيري)، وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهني حالا من حال الأشياء في الكون (مطابقة كلية أو جزئية) فيكون التطابق بين عنصر من عناصره وشيء في الواقع، ويكون التطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشيء الواقعية[7]". مما يعني أنه يمثل مستوى وسيط بين اللغة والعالم الحقيقي وينشأ آنيا أثناء فعل التواصل، ولتوضيح الفكرة أكثر نمثل لها بالمخطط الأتي:

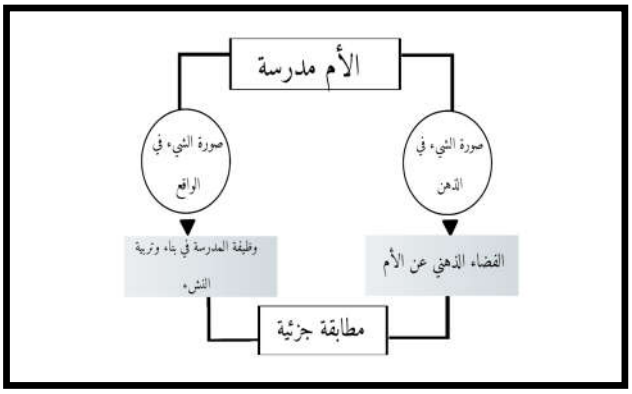

الشكل 1: المطابقة الجزئية للفضاء الذهني

2.3 تكاثر الأفضية:

يقتضي بناء الأفضية الذهنية وجود وحدات وصل بين المجالات والأفضية، ذلك لأن عملية إنتاج الكلام تتم في نسق استمراري كل تركيب يستدعي نشوء فضاء جديد بشكل متزامن مع عملية الكلام مما يؤدي إلى تولد الأفضية وتكاثرها ولذلك نجد فوكونيي يطلق على الفضاء الأساس (الفضاء الأب) وعلى الفضاء المتولد عنه (الفضاء الابن)، ويمكن أن يكون هذا التوليد أحاديا أو متعددا فيكون الحاصل شبكة من الأفضية الذهنية، كما هو موضح في الصورة[8].

الشكل2: تكاثر الأفضية

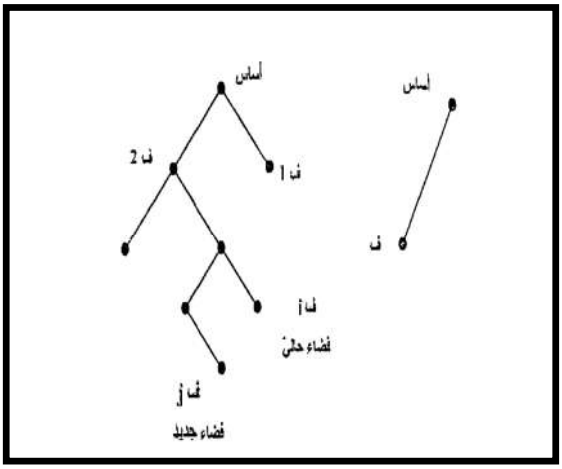

المصدر: الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث عرفنية، 2011، ص210.

وعليه فإن الفضاء الأساس يمثل منطلق الحركة الذهنية التي تربطه بغيره من الأفضية اللاحقة ضمن علاقة التعبية التي تنشأ أثناء الخطاب، مما يساعد على وضع أطر لهياكل الدلالات وفروعها بشكل منتظم.

4. بناء المعنى في القصة القصيرة جدا

1.4 الأفضية الذهنية وبناء المعنى:

الحديث عن بناء المعنى هو حديث عن العمليات المسؤولة عن البناء اللغوي بشكل نسقي ومنظم بين المرسل والمرسل إليه انطلاقا من معارف ومعطيات معترف بها ومتفق عليها بينهما، غير أن هذه الأخيرة يمكن أن تخرج عن إطار المعنى المتعارف عليه فتحمل دلالات أخرى يمكن تأويلها، وهذه الفكرة ما سبق طرحها في تراثنا العربي عند السكاكي(626 هـ)، حين تحدث عن اعتقاد المخاطب، حيث قسم الدلالات إلى قسمين[9]:

- دلالة وضعية: وهي دلالة مطابقة حيث تكون الكلمة تحتمل معنى مطابقا لها، فكأن دلالة المطابقة هي دلالة المنطوق في حرفيته ونصيته.

- دلالة عقلية: وهي دلالة المفهوم، إذ تستفاد مما تحمله اللفظة من معان وتقتضيه سواء كانت بالتضمين كتضمين مفهوم السقف في مفهوم البيت أو كانت بالالتزام نحو علاقة مفهوم الحائط بمفهوم البيت.

وكأن المقابلة بين الدلالة الوضعية و الدلالة العقلية مقابلة بين المنطوق والمفهوم.

وعليه فإن قضية اعتقاد المخاطب تعتمد على التمثيل التصوري الذي يمتلكه الإنسان عن الأشياء في العالم، فالممارسة التواصلية لا تتحقق دون تمثل الأشياء داخل أذهاننا، وهذا الأمر يقودنا إلى أن الدلالة العقلية تتفق مع مبدأ الاهتداء الذي ذهب إليه فوكونيي والذي بمقتضاه تكون الدلالة العقلية تبعية بحكم تعالق المفاهيم بعضها ببعض.

وبهذا الطرح توجهت دراسة المعنى في المقاربة الدلالية الإدراكية من التأويل نحو البناء والتكوين.

2.4 تطبيقات على القصة القصيرة جدا:

سنتطلق في هذه الدراسة من العلاقة التي تربط البنية السطحية بالعمليات الذهنية التي تمكننا من فهم الآليات التي يشتغل بها الذهن البشري لاستيعاب النص الإبداعي على ضوء نظرية الأفضية الذهنية.

النموذج الأول: ق.ق.جدا بعنوان: (صد...مات) من المجموعة القصصية تفاحة الدخول إلى الجنة للإماراتي سلطان العميمي.

نص ق.ق.جدا: "كان يتحمل الصدمات، لكنه لكثرة الّصد.. مات![10]"

يحيل هذا النص إلى مجموعة من الأفضية كما يلي:

- الفضاء الأساس: (كان يتحمل).

هذا التركيب يفرض وجود شخصية غائبة يدل عليها فعلها وهذه الشخصية قد أغفلت ملامحها في النص لكنها غالبا شخصية ذكر انطلاقا من الفعل المسند إلى المذكر، ولفظة يتحمل لفظة كثيفة الدلالة تعبر عن شدة وقساوة الاحتمال التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك رغم فعل المقاومة المستمر.

- فضاء (الصدمات): يمكن أن تكون هذه الصدمات التي تتعرض لها الشخصية الرئيسية في القصة حسية أو معنوية.

- فضاء (الاستدراك): يتفرع بدوره إلى فضائين:

أ- سمة مركبة من فعلين: (صد+ مات).

ب- اسم جمع لكلمة صدمة، ويمكن أن تكون هذه الصدمات هي الأخرى مادية أو معنوية، على الرغم مما قد يبدو من خروج عن المألوف في التركيب فلا يستقيم الفهم، ولكن وجود القرائن السابقة تدفعنا للاهتداء إلى المعنى.

ويمكن لنا تمثيل تكاثر أفضية هذه القصة في الشبكة الآتية:

الشكل 3: تكاثر الأقضية في ق.ق.جدا "صدمات"

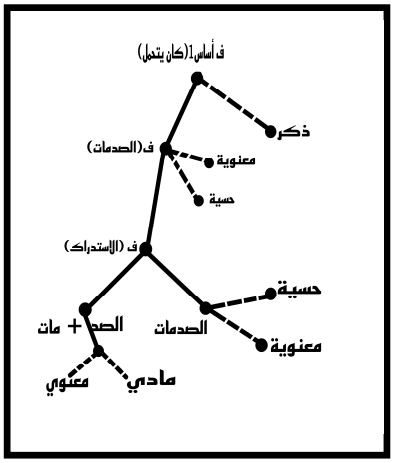

وبهذا التصور نلاحظ تناسل الأقضية وترابطها انطلاقا من الفضاء الأب (الأساس) وصولا إلى التفريعات الأبناء، مما يعطيها طابع الحركية والمرونة في الاهتداء إلى المسارات التي بمقتضاها ينبني المعنى.

النموذج الثاني: ق.ق. جدا بعنوان (الحلزون) من المجموعة القصصية المطر لا ينزل في الشوارع للجزائرية دليلة مكسح.

نص ق.ق. جدا: "الحلزون الذي لون قوقعته بلون التراب ليبدي للجميع أنه مندمج مع محيطه، نسي- أن يلون داخله الأسود الذي فضحه في أول خطوة[11]".

يحيل هذا النص إلى مجموعة من الأقضية نوردها كما يلي:

ابتدأت القصة بلفظة (الحلزون) وسيكون هذا العلم الفضاء الأساس الذي سننطلق منه لتطبيق آليات بناء الأقضية الذهنية في هذا النموذج.

- الفضاء الأساس: (الحلزون) بكل ما يحمله من خصائص بيلوجية ومفهومية من أنه حيوان رخوي ذو قوقعة..
- فضاء (تلون القوقعة): والمعبر عنه بالجملة الثانية (الذي لون قوقعته بلون التراب).
- فضاء (الاندماج): المتمثل في الجملة الموالية (ليبدي للجميع أنه مندمج مع محيطه).
- فضاء (النسيان): والمعبر عنه بالجملة (نسي أن يلون داخله الأسود).
- فضاء (الفضيحة): الذي ختمت به القصة في الجملة (الذي فضحه في أول خطوة).

على ضوء هذه المساحات المعرفية يتأسس لنا شبكة من العلاقات التبعية بين المعلومات اللغوية في النص وعناصر الفضاء الذهني المُتخيلة، فالحلزون هنا يمثل الإنسان المنافق بكل أبعاده، الذي يُظهر غير ما يُبطن حسب الظروف التي يقع فيها وهذا ما يتفق مع قول الكاتبة (الذي لون قوقعته بلون التراب)، غير أن هذا الفضاء، أي فضاء (تلون القوقعة) يمكن له أن يحيلنا إلى عدد من الأقضية الأخرى كأن تمثل القوقعة بيت

الإنسان كما هو الحال لدى الحلزون. فتصور جانبا من حياة الإنسان داخل بيته الذي يُدي فيه سلوكا مناقضا تماما لسلوكه خارجه ضمن محيطه الاجتماعي، فتكون له حياتان، حياة في العلن تسودها مقومات المثالية والنزاهة والأخلاق وحياة في السر انتهازية كاذبة تغيب فيها القيم والمبادئ، ويمكن أن تمثل القوقعة من جهة أخرى ذات الإنسان فيتولد الزيف نتيجة الاختلال بين ثنائية المظهر والجوهر، فتتغير المعادلة الاجتماعية وتصبح قيمة الإنسان مستمدة مما يملكه ويستهلكه ومما يحمله من صفات جسمانية، لا بمجموع خصائصه الباطنية وأخلاقه وفاعليته.

وكل هذا بغرض الاندماج مع المحيط الاجتماعي، سواء كان بداعي الفساد نتيجة اضطراب المنظومة القيمية لديه، أو بداعي الحماية، فالإنسان يلجأ أحيانا إلى الكذب الاجتماعي فقط لتجنب الخوض في موقف قد يتسبب له بالمشاكل أو يلجأ لنوع من الازدواجية في الأخلاق والمعايير لتستر على صديق في العمل أو للحصول على ترقية.

غير أن أي شكل من أشكال التزييف لايمكنه أن يدوم طويلا فالتنشئة الأخلاقية ترتسم في النفس على صورة السجية، وهذا ما يعكسه قول الكاتبة (..الذي فضحه في أول خطوة)، ويجسده كذلك المثل القائل الطبع غلب التطبع.

ويمكن لنا تمثيل تكاثر أفضية هذا النموذج في الشبكة الآتية:

الشكل 4: تكاثر الأفضية في ق.ق.جدا "حلزون"

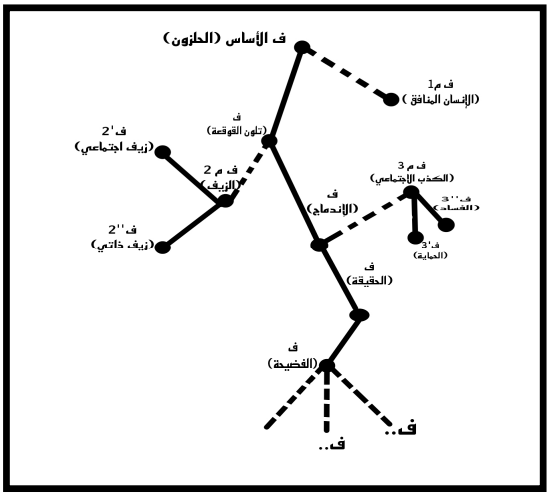

5. خاتمة:

أردنا من خلال هذه الدراسة أن نبين كيف تسهم نظرية الأفضية الذهنية في عملية بناء المعنى في القصة القصيرة جدا وقد خلصنا إلى جملة من النتائج:

- الدلالة الإدراكية تسعى نحو بناء طريقة جديدة في التحليل الدلالي، إذ لا تقتصر على البنى الغوية فحسب بل تستند كذلك إلى الترسبات المعرفية والتجارب البشرية في العالم.
- توجهت دراسة المعنى في المقاربة الدلالية الإدراكية من التأويل نحو البناء والتكوين.
- ينشأ الفضاء الذهني آنيا أثناء فعل التواصل وينطلق من قاعدة تمثل نقطة بدء بقية المراحل اللاحقة من الخطاب.
- يرتبط الفضاء الذهني ارتباطا وثيقا باستعمال اللغة واستعمال المعرفة التي يوفرها النسق التصوري.
- تكمن القوة الإبداعية في ق.ق. جدا في قدرة المبدع على الترتيب الانتقائي للبنية السطحية التي تنبني على إثرها الأفضية الذهنية التي تسهم في توجيه القصدية.

هوامش:

[11]: الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، (2011)، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر(تونس)، ص21.

[2]: الحبيب المقدميني، وآخرون، (التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية)، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، (2019)، تح: صابر حباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية (المملكة العربية السعودية-الرياض)، ص:96.

[3]: عبد العالي العامري، الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العراق، مجلد28، ع8، 2020، ص: 365.

[4]: عبد الكبير الحسني، الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة للمعنى، (2020)، دار كنوز المعرفة (الأردن)، ص19.

[5]:ينظر: محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادؤها وتطبيقاتها، (2018)، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع (تونس)، ص:34.

[6]: عبد الرحمن محمد طعمة، عبد المنعم أحمد، المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها(2020)، المنتدى الأوروبي للوسطية (بلجيكا)، ص:39.

[7]: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (2010)، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف (تونس)، ص:206.

[8]: الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص:210.

[9]: ينظر: وئام الحيزم، تأويل اللفظ والحمل على المعنى، (2009)،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة تونس (تونس)، ص: 89.

[10]: سلطان العميمي، تفاحة الدخول إلى الجنة، (2013)، دار مدارك للنشر، (أبوظبي)، ص41.

[11]: دليلة مكسح، المطر لا ينزل في الشوارع، (2018)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر(الجزائر- بسكرة)، ص86.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، (2011)، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر(تونس).
2- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (2010)، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف (تونس)،
3- الحبيب المقدميني، وآخرون، (التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية)، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، (2019)، تح: صابر حباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية (المملكة العربية السعودية-الرياض).
4- دليلة مكسح، المطر لا ينزل في الشوارع، (2018)، دار علي بن زيد للطباعة والنشر(الجزائر- بسكرة.
5- سلطان العميمي، تفاحة الدخول إلى الجنة، (2013)، دار مدارك للنشر، (أبوظبي).
6- عبد الرحمن محمد طعمة، عبد المنعم أحمد، المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها(2020)، المنتدى الأوروبي للوسطية (بلجيكا).
7- عبد الكبير الحسني، الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة للمعنى، (2020)، دار كنوز المعرفة (الأردن).
8- عبد العالي العامري، الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العراق، مجلد28، ع8، 2020.
9- محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادؤها وتطبيقاتها، (2018)، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع (تونس).
10- وئام الحيزم، تأويل اللفظ والحمل على المعنى، (2009)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة تونس (تونس).